Recep Tayyip Erdoğan Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi
2 (2012), ss. 321-326.

NECİB MAHFUZ'UN KISA ÖYKÜLERİNDE HAYATINDAN YANSIMALARA DAİR BAZI NOTLAR

M. Mücahit Asutay
Öğr. Gör., Recep Tayyip Erdoğan Ü. İlahiyat F., Arap Dili ve Belagatı

Özet: Necîb Mahfûz'un öyküleri okunurken tutulan bu notlarda, kısa öykülerinde onun hayatından izler araştırılmış, bazı olay, kişi ve mekânların öykülerine nasıl yansıdığı tespit edilmeye çalışılmıştır.
Anahtar kelimeler: Necib Mahfuz, Kısa öykü, Olay, Mekân, Karakter

Some Reflections From Life of Naguib Mahfouz in his Short Stories

Abstract: In this notes which kept while reading short stories of Naguib Mahfouz investigated some marks from his real life and tried to determine the reflections of some people, places and events in stories of Naguib Mahfouz.
Key words: Naguib Mahfouz, Short story, Event, Location, Character

تأملات في علاقة نجيب محفوظ بالأشخاص والأماكن في ضوء قصصه القصيرة

الملخص: و في هذه الدراسة نبحث عن علاقة محفوظ بثلاثة مكونات (شخص ومكان وحادث) في ثلاث من قصصه، لأننا نرى لكل واحد منها أثرا في حياته كما نرى أثرا في مؤلفاته.
الكلمات المفتاحية: نجيب محفوظ، قصة قصيرة، الشخصية، حادث، مكان.

مدخل

كل قصة من القصص التي ألفها كاتبها يحمل آثارا في كثير من الأحيان من تجارب الكاتب وملاحظاته ووجهة نظره إلى الحياة والعديد من الأشياء غير ذلك. وهذا أمر لا مفر منه. وتظهر هذه الآثار مباشرة أحيانا وبعد التحوّل تارة. وكتابة الأديب مؤلفاته بغض النظر عن سيرته الذاتية يحتمل أن يكون أمرا صعبا بدرجة المستحيل. لا يمكن اتخاذ القرارات في أعمال الكُتَّاب من السيرة الذاتية إلا بأن يكون هناك تعبير واضح أو إشارة من الكاتب أو أن يكون لدى الشخص معرفة دقيقة عن الموضوع. على سبيل المثال، كيف نستطيع أن نقول بالضبط إن البطل في قصة (ما) صديق حميم للأديب في الحقيقة؟ لن يتجاوز هذا أن يكون تخمينا ضعيفا أو قويا على حسب الوضع. ومع ذلك فإن محاولة الإكتشاف عن حقيقة في عالَم الأديب أمر ممتع ولافت. و معنى من المعاني مثل الشرطي المباحث الذي حل القضية بعد تقييم وتحليل القرائن و لكن لا يستطيع الإثبات تماما.

الشخصيات المهمة في الأدب العربي الحديث مثل طه حسين *"الأيام"* وتوفيق الحكيم *"سجن العمر"* قد كتبوا السيرة الذاتية لحياتهم. فأما نجيب محفوظ - رغم تأثره الكثير بهما- فلم يكتب السيرة الذاتية الخالصة. وفي الواقع أن محفوظ أراد أن يبحث القارئ قصة حياته في أعماله. ومع ذلك نحن محظوظ بكتاب رجاء النقاش.[1] يروي هذا الكتاب الذي ألفه النقاش بعد مقابلة استمرت مدة طويلة مع محفوظ حب استطلاع القارئ في حياته. تكلم نجيب محفوظ عن بعض الانعكاسات من حياته حول رواياته ولكن تصرف في قصصه بشأن أكثر تكتما، و في هذه الدراسة نريد أن نتكلم عن علاقة محفوظ بثلاثة مكونات (شخص ومكان وحادث) في ثلاث من قصصه، لأننا نرى لكل واحد منها أثرا في حياته كما نرى أثرا في مؤلفاته.

أ. توفيق الحكيم وقصة "رجل"

في رأينا أن صفوة راجي بطل هذه القصة كتب مستوحى من شخصية توفيق الحكيم. فعلاقة نجيب محفوظ بتوفيق الحكيم تعطينا الفكرة في تحليل القصة. في عام 1947بعد اجتماع محفوظ مع الحكيم وامتدت العلاقة حتى وفاة توفيق الحكيم. أنشأ محفوظ صداقة قوية مع الحكيم وموازيا لهذه الصداقة تأثر كثيرا بشخصيته كأديب.[2] محفوظ يقول في الحكيم: "توفيق الحكيم أول أديب مصري يتفرغ للكتابة، يعطي كل وقته للأدب الذي أصبح حرفته التي يعيش منها. وقبله أدباؤنا الكبار غير متفرغين للكتابة، ويعملون بها على هامش وظيفة أساسية أخرى...[3] توفيق الحكيم له مكانة خاصة في قلبي. وربما أكون أحببت العقاد وتعلقت به وتربيت على يديه و وربما أكون تأثرت بطه حسين إلى حد بعيد، ولكن توفيق الحكيم هو الوحيد الذي ارتبطت به وجدانيا و روحيا وعشت معه سنوات طويلة كظله...[4] كانت علاقتي بالحكيم حميمة للغاية، كان يأتمنني على أسراره الشخصية والعائلية، فحكى لي قصة فشل ابنته "زينب" في زواجها الأول...على مستوى الإنساني كنت أحب الحكيم إلى أقصى حد، فهو لطيف وعلى خلق، وحلو الحديث، وخفيف الروح. أما الحكايات الشهيرة عن بخله وعدائه للمرأة، فهى أقرب إلى الدعاية منها إلى الحقيقة. فكيف يكون بخيلا مَنْ

[1] النقاش، رجاء، *نجيب محفوظ*، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1998.
[2] المرجع السابق، ص. 70.
[3] المرجع السابق، ص. 72.
[4] المرجع السابق، ص. 69.

يزوج ثلاث بنات في عام واحد وينفق على زواجهن 15 ألف جنيه...[5] والحكيم من الشخصيات المنحصرة في ذاتها، و لديه ساتر نفسي يحصنه ضد العالم الخارجي، وأظن أن هذه الصفات قد وفرت له الحماية من الإصابة بالانهيار العصبي أمام فواجع عديدة مرَّ بها في حياته مثل موت زوجته، وموت ابنه إسماعيل في عز شبابه. لقد حزن الحكيم عليهما ما في ذلك شك، لو أن إنسانا آخر غيره ابتلى بما جرى له ما استطاع أن يتحمل ما تحمله الحكيم..."[6]

في ضوء ما قاله محفوظ عن الحكيم يمكننا القول أن بين صفوة راجي والحكيم تشابها كبيرا. وصفوة راجي –مثل الحكيم- رجل كان ناجحا في شتى مجالات الحياة و عانى من الأحداث المؤلمة طول حياته مثل موت ابنه إسماعيل وزوجته و في نهاية عمره يقضي شيخوخته وحيدا. نرى في صفوة راجي أيضا "ساترا نفسيا" كما وصف نجيب محفوظ لتوفيق الحكيم. فالبطل يقول في القصة لما جرى له من مصائب الحياة: "لعلى لم أبرأ تماما حتى اليوم من فقد ابنين، ولكني أثبت صمودي أمام الموت نفسه! أنجبت خمسة أولاد مات منهم اثنان، الأول في وباء الكوليرا والثاني في حمام السباحة تهدم بنيان زوجتي. وحنقت على صمودي. الصابر المتصبر متهم في هذا البلد قيل عني إني غليظ القلب وإني منهمك في عملي للدرجة التي تنسيني ما عداه. هذا خطأ. إني أعرف الحزن والألم. ولكني لا أعاند المقادر. وأرى أن أكبر عار في هذه الدنيا هو عار الهزيمة".[7] تشبه مقاومة راجي أمام الكوارث تحمل الحكيم لمصائبه. كما قال محفوظ له " لو أن إنسانا آخر غيره ابتلى بما جرى له ما استطاع أن يتحمل ما تحمله الحكيم".

طبعا لا تتطابق كل الشخصيات والأحداث في القصة مع حياة توفيق الحكيم. وليس هذا هدفنا لأن القصة على طبيعتها كتبت في بنية وصياغة جديدة وغيرت الأحداث وتسلسلها. هناك شيء آخر يلفت أنظارنا. وهو زيارة محفوظ لتوفيق الحكيم الأخيرة في المستشفى. هذه الزيارة تركت في روح نجيب محفوظ أثرا عميقا، لأن الحكيم لم يعرفه وحكى له من وهمه أن الممرضة تريد أن تسمه. وتأثر محفوظ بحالة الحكيم هذه وحينما خرج من الغرفة قال للطبيب المرافق له خلال الزيارة: "إنني لم يحدث أن تمنيت لأحد قبل ولكن حالة الحكيم جعلتني لا أتمنى له الحياة بهذا الشكل".[8]

---

[5] المرجع السابق، ص. 71.

[6] المرجع السابق، ص. 72.

[7] محفوظ، نجيب، *الفجر الكاذب*، دار الشروق، القاهرة، 2006، ص. 73.

[8] النقاش، ص. 70.

أن صفوة راجي رغم شيخوخته يهتم بصحته ويمشي كل صباح منظما ويقرأ الصحف ويتابع كل ما يجري في العالم وهو ما يمكن تفسيره بأن محفوظ من حبه الحكيم أراد أن يرى الحكيم مثل هذا الرجل ولذلك صور البطل بصفات كان يريد أن يرى فيها الحكيم.

ب. المقاهي وقصة "الغابة المسكونة"

في قصة "الغابة المسكونة"، يعتمد أساس البيئة الثقافية الفنية التي كونها الشباب في الغابة على المقاهي التي لعبت دورا كبيرا في حياة نجيب محفوظ. أولا ننظر ماذا يقول محفوظ عن المقاهي: "لعبت المقاهي دورا كبيرا في حياتي، وكانت بالنسبة لي مخزنا بشريا ضخما للأفكار والشخصيات...أما ندوة الأوبرا فترجع بداياتها إلى سنة 1943، وكانت عبارة عن جلسة عادية، ثم أخذت تتسع، حتى تحولت إلى ندوة يؤمها الأدباء والمثقفون، وتطرح فيها الكتب والأعمال الفنية للمناقشة. استمرت الندوة منتظمة لعدة سنوات لم يعكر صفوها شيء، حتى جاء يوم تقرر فيه أن يمر موكب الرئيس عبد الناصر مصطحبا ضيفا أجنبيا من ميدان الأوبرا، في طريقه إلى الجامع الأزهر، واقتضت إجراءات الأمن تأمين طريق الموكب. ولاحظ المخبرون أن هناك عددا كبيرا من الأفندية يفدون إلى الكازينو وفوجئنا بضابط برتبة كبيرة، يتجه إلينا مستفسرا عن أسباب وجودنا معا وبكل هذا العدد. أخبرنا الضابط أنها ندوة أسبوعية اعتدنا على إقامتها منذ عام 1943، ولم يسترح الضابط لهذا التبرير، وزرع مجموعة من المخبرين على منافذ الكازينو المطلة على الشارع. أثناء مرور الموكب وقفنا جميعا في النوافذ لتحية الرئيس عبد الناصر ورددنا هتافات مؤيدة له. وبعد مرور الموكب بسلام جاءنا الضابط مرة أخرى ليبلغنا بأن أي تجمع يزيد على خمسة أشخاص لا بد أن يحصل على تصريح من قسم البوليس التابع له مكان الاجتماع. ونبهنا إلى ضرورة الحصول على إذن كل أسبوع إذا أردنا أن تكون ندوتنا قانونية. وبالفعل قبل موعد الندوة كان يذهب أحد روادها إلى قسم عابدين للحصول على التصريح، وأصر مأمور القسم حتى يأذن لنا، بأن نسمح لأحد المخبرين بحضور الندوة، ليقوم بكتابة تقرير عما دار فيها من أحاديث ومناقشات. المضحك في الأمر أن المخبر كان يجلس مثل الكرسي لا يفهم شيئا، فكيف يصل تفكير مخبر سري محدود الثقافة والإدراك إلى فهم أحاديث حول كافكا و سارتر وكامى وأشباههم من كبار الكُتاب العالميين. وفي إحدى المرات فوجئت بالمخبر السري في نهاية الندوة يتعلق بثيابي ويرجوني متوسلا، أن أساعده في كتابة التقرير الذي سيرفعه للمأمور، لأنه لم يفهم كلمة واحدة مما قلناه ويخشى أن

يتعرض للعقاب، إن هو عاد إلى القسم خالي الوفاض، ولم ينجز ما عهد إليه. وبالفعل كنت ألخص له الندوة، وتدريجيا كدت أتحول إلى مخبر سري."[9]

من ظاهر هذا الحديث أن نجيب محفوظ كان يستمتع بالجلسات والمناقشات في المقاهي. وقد نقل محفوظ في هذه القصة الأوساط العلمية والأدبية من المقاهي إلى الغابة. واختيار الغابة كمكان يحتوي جمالا وسرا. تشبه أسرار الغابة بيئة المثقفين من جهة. وتمثل الغابة منطقة لا يعرفها الناس العاديون ويخافون منها! وعلى سبيل المثال طلب المخبر السري مساعدة نجيب محفوظ لكتابة التقرير وعدم فهمه عما دار في محادثات الجلسات يشير إلى بُعد الشعب وخوفه من عالم المثقفين. فالجهالة و الخوف من شيء يبرر للشخص أن يضع أسطورة كما فعله الناس للغابة في القصة. ولم يدخل الناس إلى أعماق الغابة أبدا ولكن قالوا إن هذه الغابة مسكونة بالعفاريت.[10] وفي الواقع زرعت الغابة لأغراض أخرى تماما. يلتقي فيها الشباب المثقفون ويتناقشون فيها مسائل كثيرة تتعلق بالحياة والسياسة والفلسفة والأدب.[11] يقول نجيب محفوظ في تصوير بيئة الشباب في الغابة: "...منذ تلك اللحظة بدأت حياة جديدة يمكن أن أطلق عليها حياة الغابة. طيلة العطلة الصيفية نمضي ساعتين على الأقل في الحلقة. ومع زقزقة العصافير هبطت أفكار ورؤى. انتقلت الدنيا من حال إلى حال. ليس الأمر لهوا ولعبا. ولا رياضة عقلية تمضي إلى حالها. إنها تشير إلى مسيرة ومغامرة وتجربة محفوفة بالاحتمالات كافة."[12] وقول أبي البطل في نهاية القصة يعطي لنا فكرة لنظر الشعب إلى المثقفين: "أعوذ بالله، ليس أصحاب هذه الآراء بآدميين، ولكنهم عفاريت!"[13]

ج. الثورات وقصة "مولانا"

في رأي أن البطل في هذه القصة يُمثّل العاملين خميس والبقري اللذين أُعدما من طرف رجال الثورة بلا ذنب. أولا لننظر إلى بعض ما يقوله محفوظ عن الثورات: "رغم إيماني الشديد بثورة 1919 وإنجازاتها فإن رواياتي ابتداء من *القاهرة الجديدة* كانت تحتوي على انتقادات حادة للمجتمع المصري في الفترة من 1919 إلى 1952. ففي *القاهرة الجديدة* انتقدت فساد الطبقة السياسية

9 النقاش، ص. 315-316.
10 محفوظ، ص. 214.
11 المرجع السابق، ص. 216.
12 المرجع السابق، ص. 216.
13 محفوظ، ص. 217.

الحاكمة، وأنا لم أكن أنقد ثورة 1919، بل أنقد أوضاعا فاسدة، مثل إهمال الجانب الاجتماعي والتركيز على القضية الوطنية فقط... وللأسف فإن الذين استفادوا من ثورة 1919 هم أعداؤها..."[14]

نفهم من كلام محفوظ أن الشعب أحيانا يكون مظلوما قبل الثورة وبعد الثورة وفي قصة مولانا أن البطل يظلم لشبهه بالملك قبل الثورة وبعدها. وهذا البطل يعيش مثل الشعب وأنه راض بقدره. كل يوم يقول في نفسه : "إن الله لم يخلقني في هذه الصورة إلا لحكمة بالغة..."[15] والرجل الذي يشير إلى قتل هذا الشاب في القصة يمثل من استفادوا من الثورة رغم أنهم في الحقيقة من أعداء الثورة. فوصفه نجيب محفوظ بهذه الجملة: "شخص بعيد النظر".

يتكلم محفوظ عن خميس والبقري ويقول: "وكان من إجراءات الثورة التي لم أشعر نحوها بالارتياح، بل تألمت لوقوعها، حادثة إعدام العاملين الخميس والبقري، فلم يتم إعدامهما بسبب ذنب اقترفاه ويستحقان عليه الإعدام، بل كان إعدامهما لمجرد تخويف الآخرين، والإرهاب كل من تسول له نفسه أن يقوم بمظاهرات احتجاج من أي نوع، فكان هما كبش الفداء. وأرى أن إعدام خميس والبقري هو جريمة قتل ارتكبتها الثورة في حق اثنين من الأبرياء."[16]

ربما هذه القصة كتبت تحت تأثير هذه الحادثة، لأن البطل في القصة قضي عليه بلا رحمة من قبل الثوار حينما يرى ضوء النجاة. وليس له ذنب إلا أنه يشبه الملك.

الخاتمة

كل ما قلناه في قصص نجيب محفوظ صحيح هو من وجهة نظرنا وفق فهم سياق القصص، في ضوء ما كتب رجاء النقاش. ولا يمكن الإثبات تماما لهذه الأشياء، وفاة الكاتب جعلت الحال هكذا. لو كان نجيب محفوظ قد سمع أو قرأ ما قلناه ربما كان يسمع صامتا مثلما قدمت إليه تفسيرات في أعماله حينما كان على قيد الحياة وكان يهز رأسه للموافقة وفي فمه ابتسامة ذات مغزى.

المراجع

1. النقاش، رجاء، *نجيب محفوظ*، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1998.
2. محفوظ، نجيب، *الفجر الكاذب*، دار الشروق، القاهرة، 2006.

[14] النقاش، ص. 184-185.
[15] محفوظ، ص. 124.
[16] النقاش، ص. 195.